الأستيغرافيا التاريخية في المغرب الأوسط ودورها في التأريخ للفئات الاجتماعية البسيطة، خلال القرون 7- 8- 9 هـ /13- 14-15 م.

إلهام قاتل، باحثة في الدكتوراه،
د. الطاهر بونابي
جامعة المسيلة.

ملخص:

إن مهمة الباحث في حقل التاريخ المعاصر أقل عسرا بحيث يمكن أن يظفر بوثائق ومخلفات وتركات، على عكس مهمة نظيره في التاريخ الوسيط والتي تعتبر عسيرة للغاية وعليه أن يجمع شتات ما تناثر في بعض المصادر حتى يستطيع أن يصل إلى نتيجة متواضعة، وخصوصا إذا ما تعلق الأمر بالتأريخ للفئات الاجتماعية البسيطة أو "العامة " إن صح التعبير، وقد تفطن عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ /1405م) إلى هذا القصور الذي اعترى منهج المؤرخ العربي، فأعاد طرح السؤال المنهجي حول جدوى الكتابة التاريخية وموقع الفئات الاجتماعية البسيطة فيها، منتقدا بذلك تهاونات مدرسة التاريخ السلطاني واعتبرها مسؤولة عن تغييب هذه الفئات.

الكلمات المفتاحية: الأستغرافيا التاريخية - المغرب الأوسط- عبد الرحمن بن خلدون- العامة- الفئات الاجتماعية البسيطة.

Abstract

The role of the researcher in the modern history of the field is less hardship so that they can acquire documents residues and byproducts, unlike his job at medieval history which is a very difficult and he has to collect Statoil which is splashed in some sources so that it can be up to a modest result, especially when it comes to historiography social groups “modest” or "public", and discern Abdul Rahman Ibn Khaldun (d. 808 AH / 1405 AD) to this shortcoming, which gripped the curriculum of the historian Arabs,he asked again the methodology question about the feasibility of historical writing and the role of the modest social groups, criticizing the neglectof the Historical Royal School and considered it responsible for the absence of these categories.

مقدمة:

لقد كان عبد الرحمن بن خلدون على وعي تام بالأزمة التي تعاني منها الكتابة التاريخية العربية، ذلك أنه تفطن إلى القصور الذي اعترى منهج المؤرخ العربي من خلال تغييب هذا الأخير للفئات الاجتماعية البسيطة في كتاباته، سواء كان ذلك عن قصد أو عن غير قصد. وهو ما جعل عبد الرحمن بن خلدون ينبه في مقدمته إلى ضرورة الاهتمام بتاريخ ما أسماهم بصانعي وسائل المعاش. **فإلى أي مدى يمكننا مسايرة الطرح الخلدوني؟ وما موقع الفئات الاجتماعية البسيطة في الأستيغرافيا التاريخية للمغرب الأوسط خلال القرون السابع والثامن والتاسع للهجرة الموافقة ل 13- 14- 15 م؟.**

الكتابة التاريخية العربية الإسلامية بعدسة خلدونية:

يعقد عبد الرحمن بن خلدون في مقدمة مقدمته فصلا بعنوان" في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام وذكر شيء من أسبابها" يتعرض فيه لأهمية علم التاريخ ويشير إلى مغالط المؤرخين السابقين عليه، ويحاول انتقادها، ومن بين أهم المغالط التي أثارت انتباه ابن خلدون منهجية مؤرخ السلطان التي تتفنن في سرد تاريخ الحاكم وذلك من خلال قوله:"ومن هذا الباب أيضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسق ملوكها فيذكرون اسمه ونسبه وأباه وأمه ونساءه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره؛ كل ذلك تقليد لمؤرخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم . والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون تواريخهم لأهل الدولة، وأبناؤها متشوفون إلى سير أسلافهم ومعرفة أحوالهم ليقتفوا آثارهم وينسجوا على منوالهم، حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم ...وأما حين تباينت الدول، وتباعد ما بين العصور، ووقف الغرض على معرفة الملوك بأنفسهم خاصة، ونسب الدول بعضها

من بعض في قوتها وغلبتها، زمن كان يناهضها من الأمم أو يقصر عنها، فما الفائدة للمصنف في هذا العهد في ذكر الأبناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها أصولهم ولا أنسابهم ولا مقاماتهم ؟ إنما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الأقدمين، والذهول عن تحري الأغراض من التاريخ ..."[1].

لقد رفض عبد الرحمن بن خلدون من خلال خطابه هذا إطناب المؤرخين في وصف السلالة الحاكمة وحاشيتها وأبسط شيء يتعلق بها ليصفهم ب" التقليد والغفلة" و" الذهول عن تحري الأغراض من التاريخ"، لأنهم أغفلوا ذكر من لقبهم ب" صانعي وسائل المعاش" أي الفئات الاجتماعية البسيطة[2]. وفي مقابل ذلك لم يفته الإشادة بالمسعودي الذي اعتبره رمز ونموذج للمؤرخ المحترف، الممتلك للمنهجية التاريخية السليمة وذلك في كتاب " مروج الذهب" الذي " شرح فيه أحوال الأمم والآفاق لعهده في عصر الثلاثين والثلاثمائة غربا وشرقا، وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم، فصار بذلك إماما للمؤرخين يرجعون إليه، وأصلا يعولون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه..."[3].

فابن خلدون بذلك ينوه على أهمية دراسة العوائد والطباع والسلوكات عند الأمم، كذا دراسة مجال البحر والجبل وتأثيراتها في العوائد، فهو بذلك يحيل إلى دراسة أنماط السلوك والعادات والأعراف في ضوء المعطيات الجغرافية والبيئية[4]. ليقدم دعوة إلى تاريخ شمولي أو كلي والذي عبر عنه ب" أحوال الأمم" أي ما تسميه مدرسة الحوليات الفرنسية ب"تاريخ كل الناس".

العوامل التي كانت وراء تغييب الفئات الاجتماعية البسيطة في الكتابة التاريخية:

أمام الصورة التي رسمها لنا عبد الرحمن بن خلدون حول حضور الفئات الاجتماعية البسيطة أو "أحوال الأمم" حسب المصطلح الخلدوني في الكتابة التاريخية العربية الإسلامية بصورة عامة وفي المغرب الأوسط بصورة خاصة حاولت تتبع الأسباب التي كانت وراء نقص إن لم نقل غياب أو تهميش وإقصاء[5] كما يميل بعض الباحثين في وصف هذه الظاهرة والتي كانت من بينها:

* تركيز الكتابة التاريخية في العصر الوسيط أثناء تأريخها على " قمم الأهرام" في مقابل إقصاء القاعدة من اهتماماتها، مع العلم أنه لا يمكن تصور بنيان يبدأ من قمة الهرم، وأن لرفع أي بنيان ينبغي الاهتمام جديا بالأسس وبالتالي القاعدة[6].

* الانتماء الإيديولوجي لبعض المؤرخين وحياتهم داخل البلاط الرسمي جعل من مصنفاتهم خادمة للطرف الحاكم، متحاملة على العامة بالسب والتغليظ والاحتقار باعتبارها الطرف المحكوم، فأثر ذلك سلبا على المادة التاريخية في طبيعة عرضها أو كميتها، فعندما يتمرد الطرف المحكوم على السلطة يصنفهم هؤلاء المؤرخين في عداد "المارقين" و"العصاة" و"الخارجين عن الجماعة". وعندما يجبرون على الخضوع للسلطة كرها فلا يكون لهم أي وزن في نظرهم ويضعونهم على هامش التاريخ[7].

* ناهيك عن رقابة السلطة للإنتاج التاريخي، التي جعلت الحاكم يملي شروطه على المؤرخ، وهذا ما يفسر النعوت القدحية التي وصم بها هذا الأخير الجماعات الهامشية ك" الرعاع" و"السفلة" و"الأوباش" و"الهمج"، وغير ذلك من المصطلحات التي تفوح برائحة الحقد والعداء السافر لهم، ويحضرنا في هذا المقام ما قاله أحمد بن محمد المقري(1041هـ / 1631م) عن عامة قرطبة :" إلا أن عامتها أكثر الناس فضولا وأشدهم تشنيعا وتشغيبا، ويضرب بهم المثل ما بين أهل الأندلس في القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضا بأمورهم ...وهم مثل الجمل إن خففت عنهم الحمل صاح، وإن أثقلته به صاح، ما ندري أين رضاهم فنقصده، ولا أين سخطهم فنتجنبه..."[8].

* وقد يكون الانتماء الإيديولوجي لجل المؤرخين باعتبارهم موظفين في البلاط، أو تمايزهم الثقافي وبروزهم العلمي جعلهم يأنفون الكتابة عن العامة بتتبع نشاطها الاقتصادي، وتبيان وضعها الاجتماعي، فيترفعون عن رصدها في الأسواق والحارات والدروب وتسجيل طبيعة حياتها اليومية ومستوى ثقافتها وتحليل ذهنيتها مما يقلل من شأن مهمتهم كمؤرخين عليهم أن يسجلوا الأحداث العظام في عصرهم[9].

* بالإضافة إلى الحرص الشديد الذي ميز المؤرخ المغربي في العصر الوسيط على تماسك وحدة الأمة المغربية وذلك امتثالا للمنظومة المالكية التي حملت شعار " سلطان جائر سبعون سنة ولا أمة مشرذمة لساعة واحدة"، ولقد كانت هذه الوحدة هي المنظومة المرجعية في كل كتابة تاريخية، وبما أن السلطة كانت رمز هذه الوحدة فإن المؤرخين اهتموا بها، لا بالرعايا الذين كانوا تحت حكمها[10].

* دون أن ننسى مفهوم التاريخ نفسه في نظر المؤرخين العرب المسلمين بشكل عام والمغرب الأوسط بشكل خاص والذي يتمثل في التأريخ للسلالات الحاكمة والوزراء والأعيان والوجهاء، والأحداث الكبرى والمعارك والحصارات والمحطات الحاسمة في تواريخ الدول.

إذن فالفئات الاجتماعية البسيطة قد عانت شح الحضور في الكتابات التاريخية للمغرب الأوسط خلال القرون السابع والثامن والتاسع للهجرة الموافق ل13-14-15م، فإذا ما أراد الباحث أن يبحث عن تاريخ هذه الفئات فأين يمكنه اللجوء؟!!!

حضور الفئات الاجتماعية البسيطة في الأستيغرافيا التاريخية للمغرب الأوسط خلال القرون السابع والثامن والتاسع للهجرة الموافق ل 13-14-15م:

إن الحل يكمن في اللجوء إلى ما أسماه الباحث القدير محمد المنوني ب" المصادر الدفينة"، دون التخلي كليا عن بعض المصادر التاريخية التي تحمل إشارات متناثرة، أي اللجوء إلى كتب النوازل والفتاوى وكتب المناقب والطبقات والتراجم و كتب الجغرافيا والرحلات والشعر والأزجال وما إلى ذلك من استغرافيا تاريخية، انطلاقا من ذلك يتسنى للباحث رسم صورة وإن كانت ضبابية في أحيان كثيرة للفئات الاجتماعية البسيطة أو "العامة" على حد تعبير العديد من الباحثين.

سأحاول في هذه الوقفة القصيرة التعرض لأهمية هذه المصادر الدفينة في التأريخ للفئات الاجتماعية البسيطة:

أ- كتب النوازل:

تشير العديد من الدراسات إلى أهمية النوازل الفقهية في التعرف على أحوال المجتمع نظرا لما تثيره من أسئلة تتعلق بتفاعل مختلف مكوناته وفعالياته، وظلت أهميتها تتأرجح بين الاستعمال الفقهي والتوظيف التاريخي والتعامل الأكاديمي للنص النوازلي، غير أن البعض أقصى فائدة هذا النوع من المصادر، وذلك للصعوبات التي تواجه المتصدي للنص النوازلي، فهو أداة غير " طيعة" تقتضي القيام بجملة من الإجراءات القبلية التي تهدف إلى إعادة النص كمادة إخبارية، وتجريده من الصبغة الفقهية التي تطبعه، لكن حتى بعد القيام بذلك فإنه من الصعوبة بمكان القول بأن هذه المادة قد أصبحت جاهزة للاستعمال، بل الملاحظ أن نصوص النوازل والفتاوى المرفقة بها تستمر في طرح مشاكل منهجية[11] .

فهي تبرز حركية المجتمع وتكشف عن واقعه الحقيقي المعاش لأي فترة زمانية يراد دراستها[12]. فبالرغم من تناولها لجوانب فقهية فهي تعبر عن الانشغالات الحقيقية والملموسة التي عاشها الإنسان في بيئاتها المختلفة والتي شملت كل مجالات الحياة، كما جاءت بواقعيتها المحضة.

كتاب " **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**" لأبي زكرياء يحيى بن موسى المازوني التلمساني (883هـ / 1478م)، وهو من بين المصادر الأكثر أهمية في المغرب الأوسط لأنه يحتوي على نوازل عديدة أفتى فيها فقهاء المغرب الأوسط من بجاية وتلمسان ومناطق أخرى، فأهميتها تكمن في رصد مختلف المظاهر الاجتماعية كالشرف والزواج والمرأة والوقف والعامة في مجتمع المغرب الأوسط وغيرها، كما أنها قدمت لنا بعض ملامح حياة الأندلسيين في المغرب الأوسط، ناهيك عن حياة الجالية اليهودية، كما قدمت لنا صورة عن معاش أهل البادية ومعاش أهل المدينة...[13] .

كتاب" **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب"** لأحمد بن يحيى الونشريسي (ت 914هـ / 1508م)، يشتمل على مجموعة ضخمة من النوازل والفتاوى الفقهية [14]. التي عبرت عن واقع الحياة اليومية في مجتمع المغرب الأوسط في العصر الوسيط[15]، فجزء من القضايا والفتاوى التي كانت ضمن المعيار كانت تعكس حياة مجتمع المغرب الأوسط فقد اصطبغت بصبغة محلية.

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب المعيار قد احتوى على الكثير من الإشارات لأحوال المجتمع في هذه المنطقة من عادات وتقاليد وأعراف وأفراح وأحزان، وحياة أسرية واحتفالات وأعياد، وزي وأنواع ألبسة، وأطعمة، وحالات معينة في الحرب والسلم والعمران وما إلى ذلك، الأمر الذي يجعل منه مصدرا وثيقيا للمؤرخ والاجتماعي مثلما هو للفقيه[16] .

ب- كتب المناقب:

عرف المغرب الأوسط خلال العهد الزياني خصوصا خلال القرنين الثامن والتاسع هجريين الموافق ل 14/ 15م تطورا في الكتابة المناقبية وهي من جنس الكتابة الأدبية والتاريخية، اعتنى فيها أصحابها برصد سير الصوفية والسلاطين والصلحاء والعلماء والمرابطين، وتصويرهم في قالب يستمد منه الموعظة والمثال. وربط سلاسل أنسابهم وأسانيدهم في الطريقة وطقوسها إلى

النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته لإثبات المشروعية الدينية والترويج للنسب الشريف كمركب أساسي في جلب الأتباع، وبالرغم من الطابع الكرامي الذي يطفو عليها إلا أن هذا لم يمنع من كونها نصا يختزن مادة تاريخية ثمينة حول المجتمع والعمران والسياسة والعلاقة بين هذه الفعاليات الدينية والمجتمع والسلطة[17]. تسمح بالكتابة في التاريخ الاجتماعي والذهني والاقتصادي.

"وزاد من مصداقيتها قرب أصحابها من السلطان وارتباطهم بالمجتمع البدوي والحضري، مما جعل كتاباتهم دقيقة ومرتبطة بواقع زماني وبنية اجتماعية ومجال يعكس انتماء نصوصهم إلى جنس التاريخ في ثوب الاجتماع والتساكن والسياسة السلطانية والدينية والأنتربولوجية والميثولوجية..."[18].

- **"المجموع"** لابن مرزوق أبي عبد الله محمد الخطيب(ت781هـ / 1379م) وهو عبارة عن مجموعة تراجم لأسرة ابن مرزوق الخطيب، عرف فيها المؤلف بحياة العلم والزهد والصلاح التي اشتهروا بها منذ وجودهم بتلمسان خلال العهد المرابطي وتحديدا أواخر القرن الخامس الهجري/11م إلى سنة 763هـ/1361م تاريخ انتهاء ابن مرزوق من تأليف المجموع، وأهمية هذا الكتاب تكمن في أن نصوصه " حبلى" بالواقع الاجتماعي للصوفية على حد تعبير أستاذي الفاضل الدكتور الطاهر بونابي، وذلك من حيث المأكل واللباس والحرفة والخصوصية الحضرية، والأمراض وموقع الصوفية في المجتمع وإسهاماتهم في إيجاد الحلول لقضايا مجتمعهم عن طريق الفعل الاجتماعي والغيبي، وما نتج عنه من تجاوب اجتماعي واسع يعكس ظاهرة الاعتقاد في الصوفية وكراماتهم، وتكمن أهميته أيضا في يشير إلى دور بعض أفراد أسرة المرازقة في التكفل بالفقراء والمحتاجين، بالإضافة إلى إشاراته للأمراض والكوارث التي عانى منها أهل تلمسان[19].

- **" روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين"** لابن صعد محمد بن سعيد التلمساني (ت 901هـ / 1496م) وهو كتاب ترجم فيه مؤلفه لأربعة من أولياء المغرب الأوسط، وأهميته تكمن في إشاراته المتعلقة بجوانب مهمة من حياة الناس في عاداتهم وسلوكاتهم اليومية، كذكر بعض الأغذية بالإضافة إلى تعرضه لبعض المشاكل التي عانى منها سكان تلمسان من أمراض وأوبئة وما قاربها. ونظرا لأن هذا الكتاب يهتم أساسا بذكر مناقب هؤلاء الأشياخ الأربعة فإنه غالبا ما يبرز لنا دورهم في حل بعض المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تواجه أفراد مجتمعهم[20].

ج- كتب الجغرافيا والرحلات:

تحمل كتب الجغرافيا والرحلات إلى جانب الأخبار عن المدن والأمصار والمسالك مادة علمية ثمينة عن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية، فهي تفتح للدارس آفاقا جديدة للكشف عن تاريخ العامة في المغرب الأوسط على اعتبار أنه كان نقطة عبور واستقرار هامة بين الأندلس والمشرق، فقد نال اهتمام الجغرافيين والرحالة الذين قيدوا ملاحظاتهم المتنوعة عن هذه البلاد.

- **الرحلة المغربية المسماة ب" ما سما إليه الناظر المطرق في خبر الرحلة إلى بلاد المشرق"** للعبدري محمد بن محمد الحاحي (ق7هـ/ 13م) لقد مر المؤلف في رحلته بالمغرب الأوسط وقدم وصفا لحال أهل تلمسان ومليانة وبجاية وقسنطينة وبونة السيئ، وذكر بعض المظاهر التي تدل على آلامهم ومعاناتهم[21].

د- كتب الحسبة والأحكام:

يكتسي هذا النوع من المصادر أهمية بالغة، وذلك لأنه يبرز لنا مختلف المظاهر الاجتماعية المنتشرة في المغرب الأوسط.

- **" المهذب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق"** لأبي يحيى موسى المغيلي المازوني (ق 9هـ/ 15م) لا يهتم هذا المصدر بذكر الأحكام فقط، وإنما يشير إلى مختلف الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة في المغرب الأوسط في الفترة التي عاصرها المؤلف، كقضية الضرائب وأوضاع القضاة، وبعض الأمراض المنتشرة في المغرب الأوسط آنذئذ.

خاتمة:

ومهما يكن من أمر، فإن خير ما يمكن أن أختم به هذه الوقفة القصيرة هو التذكير بأن دراسة الفئات الاجتماعية البسيطة أو العامة في المغرب الأوسط خلال القرون السابع والثامن والتاسع للهجرة الموافق ل 13- 14- 15م مازالت تكتنفها سحب من الغموض نتيجة سكوت المصادر التاريخية عن ذكرهم، وأن الرجوع إلى المصادر الدفينة يمكن أن ينير بعض الجوانب المظلمة من تاريخ هؤلاء، وانطلاقا من هذا فإن مسؤوليتنا كباحثين تبقى قائمة، والهمة والجهد يجب أن يسخرا في خدمة هذا الموضوع!!!.

إلهام قاتل

الهوامش:

1- عبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ / 1405م): المقدمة، دراسة : أحمد الزعبي، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 41-65.

2- ابن خلدون: المقدمة، ص63.

3- ابن خلدون: المقدمة، ص 63.

4- إبراهيم القادري بوتشيش: المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي – إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل- ، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ص25.

5- إبراهيم القادري بوتشيش: المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص26؛ و دلال لواتي:" عامة القيروان في العصر الأغلبي (184-296هـ / 800- 908م)"، رسالة ماجيستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة منتوري قسنطينة، 2002م، ص أ، ب .

6- دلال لواتي : " عامة القيروان في العصر الأغلبي..." ، ص أ

7- إبراهيم القادري بوتشيش " تاريخ العوام في مغرب العصر الوسيط بين فقر الوثائق وإمكانية التجاوز"؛ ضمن كتاب: تاريخ الغرب الإسلامي – قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة-، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1994، ص28.

8- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، 1408هـ / 1988 م، ج 1، ص 462.

9- دلال لواتي : "عامة القيروان..."، ص ب.

10- بوتشيش : الإسلام السري في المغرب العربي، ط1، سينا للنشر، مصر، 1995م، 209.

11- بركات إسماعيل: "الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي بن بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني (ت 833هـ / 1478م)"، رسالة ماجيستار(تحقيق)، جامعة منتوري قسنطينة، 1431هـ / 2010م، ج1، ص ب،ج.

12- سمية مزدور: " المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588- 927هـ / 1192- 1520م) "، رسالة ماجيستار في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري قسنطينة، 1430هـ / 2009م، ص 7.

13- دراسة وتحقيق: قندوز ماحي، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1433هـ / 2012م، جزءان.

14- تعتبر مؤلفات مكتبة آل الغرديس المصدر الأساسي للمعيار فيما يتعلق بنوازل الأندلس والمغرب الأقصى، في حين اعتمد في فتاوى المغربين الأدنى والأوسط على نوازل البرزلي أبي القاسم بن أحمد القيرواني (ت 844هـ)، والدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكرياء يحي بن موسى المازوني (ت 883هـ). أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي (ت 914هـ): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط- المملكة المغربية ، 1401هـ / 1981م، ج1، ص 9.

15- لم يذكر الونشريسي في المعيار تاريخ بدأ الكتابة فيه، وإنما ذكر تاريخ النهاية بقوله:" وكان الفراغ من تقييده مع مزاحمة الأشغال ، وتغير الأحوال يوم الأحد الثامن والعشرين لشوال عام واحد وتسعمائة"، لكن يبدو أن الونشريسي لم يطو صفحة المعيار طيا نهائيا في هذا التاريخ بل ضل يتعهده بالزيادة والتنقيح إلى آخر حياته، ومع ذلك بقيت فيه بياضات كثيرة، وصرح هو نفسه بهذه الإلحاقات في فتاوى أضافها ببعض الأبواب ونص في بعضها على أنه فعل ذلك عام 911م، ويعتقد بعض الباحثين أن عملية تأليف الكتاب وتنقيحه وتوسيعه قد استغرقت حوالي ربع قرن أي من عام 890هـ إلى غاية وفاة الونشريسي عام 914هـ . الونشريسي: المعيار، ج1، ص ز،ح.

16- الونشريسي: المعيار، ج1، ص ح؛ و كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، منشورات مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية ، 1996م، ص8.

17- الطاهر بونابي: " الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15الميلاديين"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، 2009، القسم الأول، ص ق؛ و" الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني من خلال نص المناقب"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية (معسكر- الجزائر)، ع4/جوان 2013، ص165.

18- الطاهر بونابي: "الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط..."، ص 165.

19- الطاهر بونابي: " الحركة الصوفية ...."، ص ق،ك، ل.

20- سمية مزدور: "المجاعات والأوبئة..."، ص 8- 9.

21- يقول العبدري في وصف حال أهالي ميلة ومليانة " ...عمل البلاء فيهما في السكان وادخل الجميع في خبر كان..."، ويقول في وصف مدينة قسنطينة وأهاليها : " هي مدينة عجيبة حصينة غير أنها لخطوب الزمان مستكينة قد ذبلت ببوارح الغير وفوادح الضرر، ونضبت لسهام الآفات وعظائم الملمات حياضها حتى صارت كالحسناء لبست أسمالا والكريم فقد مالا، والبطل أثخنته الجراحة حتى لا يطيق احتمالا، فهي ترى الحوادث لمحا وتنادي بلسان الحال ذلا ...". انظر: الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، 2007،1428م، ص 43- 65.